البترول البترول

الامم في تنازع شديد من اول عهدها. تنازعُ البقاء فطرة في نوع الانسان وانواع الحيوان والنبات والحروب من بعض آثاره. وما تتنازع عليه اختلف باختلاف الازمنة والاحوال ولكنهُ لا يخرج كلهُ عمَّا يلزم للبقاء او عمَّا يحسب من ملابسات البقاء. والغرض الذي اتجه اليهِ هذا التنازع الآن بنوع خاص هو البترول الذي قام مقام الفحم الحجري في ادارة الآلات البخارية وكل ما يدور باحتراق البترول او البنزين مباشرة. وما البنزين الا نوع من البترول. فقد كان العصر الماضي عصر الفحم الحجري وكان التفوق الصناعي والتجاري للبلدان التي يكثر في ارضها الفحم وعرفت كيف تستخرجهُ وتستعملهُ اما الآن وقد قلَّ الفحم في البلدان الصناعية وصنعت آلات جديدة تدور بحرق البترول بدل الفحم فسينتقل التفوق الصناعي والتجاري الى البلدان التي تستولي على منابع البترول وتتقن استخدامهُ. نعم كان الاعتماد في القرن التاسع عشر على الفحم وانتقل الاعتماد في العصر العشرين الى البترول وقد تتغير الحال قبل انتصاف هذا القرن فتستخدم قوة اخرى غير البترول ولكن ذلك في علم الغيب اما الآن فلا تهتم الدول الكبيرة بشيء اكثر من اهتمامها بامتلاك منابع البترول وسيزيد اهتمامها اذا ثبت ان شركة الستندر الاميركية اكتشفت اسلوباً لاستعمال الزيت الوسخ (المازوت) في الاتوموبيل وما كان من نوعهِ بدل البنزين من غير ان تنفق النفقات الطائلة على تكريرهِ

في اول رحلة رحلناها الى اوربا بعد الحرب سنة ١٩١٩ ذهبنا في سفينة انكليزية كبيرة من سفن بي وقفت في بورت سعيد بعيدة عن المكان الذي يشحن الفحم منهُ ثم سارت لا دخان من مداخنها ولا سناج يتساقط على ظهرها ولا يكاد يسمع صوت من آلاتها. بحارتها قليل عددهم كانهم عشر ما يكونون عادة في السفن التي توقد الفحم الحجري فادركنا للحال انها تستعمل البترول بدل الفحم وفهمنا من ربانها ان كل السفن التجارية البريطانية ستنحو هذا النحو وكذلك السفن الحربية. ويقال الآن ان ثمنة اعشار السفن الحربية تستعمل البترول واما قبل الحرب فكان البترول يستعمل في اربعة اعشارها فقط والمرجح ان العشر الباقي من السفن الحربية الذي

يستعمل الفحم الآن سيعمل قريباً او يبطل استعمالهُ وتغير الآتهُ حتى تستعمل البترول بدلاً منهُ

قال المستر شودسموند الكاتب الانكليزي لقيتُ المستر جون روكفلر اغنى الرجال المسيطرين على البترول الذي دخلهُ السنوي لا اقل من ثلاثين مليون جنيه فقال لي « ان رحى الحرب على البترول دائرة سرًّا من غير انقطاع وانا اعرف كثيرين الآن يكسب الواحد منهم بالبترول مليون ريال في الشهر وقد بعثت اناساً يبحثون لي عن البترول في بلاد المكسيك وغيرها من جنوب اميركا. لقد شخت وانا في الخامسة والثلاثين من عمري لشدة اهتمامي بامر البترول . هذا هو الثمن الذي نبتاع به هذا الزيت »

فقلت لهُ ولماذا هذا التكالب وهذه المزاولة فقال « ان البترول يغري اكثر من الذهب . الذهب فرّار يصعب اكتشافهُ واذا اكتشفتهُ في منجم لم يلبث طويلاً حتى ينفد منهُ. ونحن نعلم انهُ لم يكشف حتى الآن عشر ما في الارض من البترول . واذا اكتشفت منبعاً من منابعهِ قضيت لبانتك » وكان يتكلم وعيناهُ تبرقان ووجههُ يتهلل ولو كان نحيفاً هزيلاً كما يتهلل وجه مكتشف الذهب

وقص المستر دسموند القصص التالية قال ما خلاصتهُ

في ولاية تكساس باميركا فتاة من عنود اميركا صارت من اصحاب الملايين في ساعة واحدة . كانت في اشد درجات الفقر بيتها كوخ صغير وليس عندها من الطعام ما يقوتها لكنها كانت تملك قطعة صغيرة من الصحراء وُجد فيها البترول وخرج من بئرهِ غزيراً جدًّا وصارت من كبار الاغنياء فتهافت الطلاب عليها يطلبون الاقتران بها

وآخر مرة كنت في لوس انجلس مدينة البترول واصحاب الملايين كنت ارى رجلاً وزوجتهُ يأتيان كل يوم لتناول الغذاء حيث كنت اتناولهُ. الرجل كبير الجسم غليظ العضل ثيابهُ على آخر زي ربطة رقبتهِ زرقاء سموية فيها دبوس من الماس لا يقل ثمنهُ عن الفي جنيه يداهُ لا يقوى الغسل على تنظيفهما مهما بولغ فيهِ ولكنهُ متختم بكل انواع الخواتم والحجارة الكريمة من الزمرد الى الالماس . وزوجتهُ كأنها من الخدم لكنها كانت تأتي بثياب جديدة كل يوم وعلى كتفها فروة قيل لي ان ثمنها الفان وخمسمائة جنيه واصابع يديها كاصابع يدي زوجها الفت اخشن انواع الخدمة لكنها مغطاة بالخواتم وفيها من الماس واللؤلؤ ما يفوق بهاؤهُ بهاء جواهر زوجها . فقصَّ عليَّ صاحب المطعم قصتهما وهي مجموعة في كلمة واحدة « البترول »

فانهما كانا يملكان حصّة فيما صار اغزر منابع البترول في كاليفورنيا فانتقلا في لحظة من تربيل الارض الى رياض الثروة. ولكنهما قد يهبطان كما صعدا فقد رأيت رجلاً في ساحة لوس انجلس جالساً على مقعد من الحديد حيث يجلس الذين خانهم الصعود ونقلهم من الغنى الى الفقر. كان في حالة يرثى لها ثيابهُ اخلاق واصابع رجليهِ بارزة من حذائهِ وعيناهُ غائرتان في وجههِ. هذا الرجل استيقظ ذات يوم فوجد نفسهُ غنيًّا لان البترول وجد في ارضهِ فاختلّ عقلهُ وباعها واشترى بثمنها ارضاً اخرى اكبر منها حاسباً ان بترولها اغزر فخانهُ الصعد ولم يجد فيها شيئاً

واغرب ما روي في كل العصور ان يتفق الرجل الف جنيه فيكسب الف مليون من ذلك ان شاه ايران منح رجلاً اسمهُ سبكمسلو ستة ١٨٩٥ و١٩٠٢ امتيازات لاستخراج البترول من بلادهِ فاشترى رجل منهُ الامتيازات الشمالية سنة ١٩١٦ ثم باعها لشركة الانكليزية الفارسية بالف جنيه. وقد خرج من منابع البترول في ايران على قرب العهد بها ١٢ مليون برميل سنة ١٩٢٠ و١٤ مليون وخمسمائة الف برميل سنة ١٩٢١

زرت المستر اديسن المخترع الكهربائي الشهير في نيوجرزي فابان لي ان ادارة العالم من باب اقتصادي تتوقف على البترول فأنهُ يعتقد ان البلوتات ستساق بالبترول وعملا غازاً سامًّا فيكون لها فصل الخطاب في حروب المستقبل. وقد قال المسيو بريان الزعيم السياسي الفرنسوي الكبير والمستر لويد جورج ان «سياسة الدول هي سياسة البترول» ومن الامور المقررة ان الانكليز سبقوا غيرهم في هذه السياسة وهم يفعلون بينما غيرهم يتكلم. ولقد كان البترول من اكبر العلل التي سببت الحرب العظمى وكان ايضاً من اكبر العلل التي دعت الى انهائها فقد رفع المرشال لودندرف تقريراً سريًّا الى حكومتهِ في ١٣ اكتوبر سنة ١٩١٨ قال فيهِ انهُ لا يستطاع مواصلة الحرب اكثر من شهر ونصف شهر بعد ما فقدنا رومانيا التي هي مصدر البترول لالمانيا. ولقد كان غرض الالمان الاول من الشاه سكا بغداد السيطرة على منابع البترول في الموصل وبغداد وما اليهما فلما ثبتت الحرب كان اول عمل عملتهُ بريطانيا انها استولت على ما كان في يد الالمان من اسهم الشركة وهو ٢٥ في المائة واعطتهُ لفرنسا لتسمح لها بوضع الانابيب لنقل البترول في البلاد السورية التي وضعت تحت الوصاية الفرنسوية